

الحرية والاستقلال هما المطالبان الأساسيان والمشروعان للشعب الإيراني

بسم الله الرحمن الرحيم

أعتذر كثيراً عن عدم قدرتي على كثرة الالتقاء بالسادة الحاضرين، لكبر سني وضعف بدني. ولكن ليس ثمة حجاب بيني وبينكم أيها السادة وبين من لديه عمل معي. فأنا أستقبل الجميع وأنا أخ للجميع. وأرغب في لقاءكم أيها السادة الذين تخدمون الإسلام وشعبكم وأنتم خارج بلدكم. ولكن يمنعني عن كثرة الخروج للقائكم كثرة مشاغلي وضيق الوقت وتقدم السن وضعف البدن عن ذلك وليس عدم رغبتني فيه. بل إنني أود أن أكون على اتصال دائم بكافة السادة. وإنني شاكر لكم أيها الفتية المسلمون على جمعكم، وأنتم خارج بلدكم، بين اكتساب العلم وبين خدمة الإسلام والمسلمين.

وليس لدينا حديث جدي، فكلمتنا واحدة ثابتة. قلناها منذ بداية انطلاق هذه النهضة الإسلامية التي طوت مراحل مختلفة، تحركت في بعضها بسرعة وفي بعضها ببطء، وقد وصلت الآن. والله الحمد. إلى ذروتها. قلناها قبل 15 سنة أو أكثر وتابعتها وقلنا: أننا نريد للشعب الإيراني مطلبين كلاهما مشروعان تؤيدهما كافة المجتمعات التي لم تنحرف عن الصبغة الإنسانية.

الأول الحرية... فهذا الشعب، ذو الثلاثين أو الخمس وثلاثين مليوناً يعيش في أجواء القمع والاضطهاد الشامل لمختلف المجالات منذ خمسين سنة. فلا صحافته حرة ولا إذاعته وطنية يديرها الشعب بنفسه ولا خطباؤنا أحراراً فيما يقولون. فكل الوسائل تدار تحت إرهاب وضغوط الشرطة. هذا الشعب كان محروماً بملايينه الثلاثين، طوال حقبة الخمسين سنة من حقه المشروع هذا، وانتفض الآن مطالباً به وهو يقول:.. نحن نريد الحرية وهذا مطلب سليم تؤيده كافة المحافل الإنسانية ولا يعترض أحد على مشروعيته.

الثاني الاستقلال.. فطوال الحقب السابقة وخاصة في عهد حكم هذا الأب وابنه، ولاسيما في عهد هذا الابن، كانت كافة شؤون بلدنا، ولا زالت، خاضعة لتسلط الأجانب. فاقصادنا مضطرب بسبب تسلطهم. وهم يأخذون نفطنا ويقيمون بثمنه قواعد لهم في إيران. فهم يبيعونه أسلحة لصنع قواعد لهم فيها. وقد جعلوا ثقافتنا مختلفة ومنعوا شبابنا من اكتساب العلوم خشية من ظهور من يعارضون سياستهم.

وهم يمنعون ثقافتنا الإسلامية من الانتشار. ويسعون بدعاياتهم لعزل الشعب عن الإسلام وعلمائه، لأنهم يزّون الإسلام وعلمائه مضادين لأهدافهم. فلو تحقق تطبيق الإسلام بصورته الحقيقية، في إيران أو في غيرها لما بقي فيها محل للأجانب. فالإسلام يحكم بمنع الأجانب من التدخل في مقدرات المسلمين. ولو ملك علماء الإسلام القوة اللازمة لما سمحوا بنسيان هذا الحكم الإسلامي ولطبقوه. ولذا أدرك الأجانب ضرورة تحطيم هاتين القوتين، أي الإسلام وعلمائه، لأنهما تشكلان عقبة بوجه مطامعهم. وهذه النتيجة توصلوا إليها بعد سنين طويلة أجرى خلالها خبراءؤهم دراسات بهذا الخصوص حددوا فيها أيضا تدمير هذه العقبة.

لقد توصلوا خلال دراساتهم إلى حقيقة أن وجود الثقافة الأصيلة الفاعلة في البلد، ووجود جامعات سليمة مستقلة غير طفيلية، يؤدي إلى تربية كوادر سليمة وعلماء مستقلين فكريا يمنعون المستغلين من ممارسة استغلالهم. لذا يجب تعطيل دور هذه الثقافة الاستقلالية لفسح المجال أمام استغلالهم. أما العقبة الأخرى وهي الأخطر من جميع العقبات على مطمعهم فهي الإسلام الذي يمنع استغلالهم وعلى هذا يجب تشويه صورته في أعين المسلمين وعزلهم عنه. ولتحقيق ذلك فإن مروجي أفكار الأجانب يروجون في كل مكان، وبكل وسيلة ممكنة، أقوالا من قبيل أن الإسلام شريعة لما قبل 1400 سنة فهي غير مجدية في العصر الحاضر، وأنه رجعي، والعمل به تخلف وأمثال هذه الأقوال الخاوية.

ومنها أيضا ما تقوله طائفة أخرى من أن الإسلام استبدادي هو الآخر! وبالأمس قال شخص هنا: يقولون (ويبدو أنه أراد أن يقول عن نفسه لكنه خجل) إننا إذا أطحنا بهذا الديكتاتور فسنبتلي بديكتاتور إسلامي!! فقلت له: أي نموذج رأيتموه إلى الآن كمصداق للحكومة الإسلامية حتى فهمتم أنها ديكتاتورية؟! !

أنقل هنا روايتين تحضراني لكي يتضح عمق جهل هؤلاء السادة الذين يتوهمون أن حكم الإسلام ديكتاتوري. أنقل الرواية الأولى عن الرسول الأكرم (ص)، وهو رئيس الإسلام على نحو الإطلاق. والثانية عن أمير المؤمنين (ع):

عندما كانت للرسول الأكرم (ص) حكومة المسلمين، وفي الأيام الأخيرة من حياته المباركة حضر إلى المسجد، وقد كان مريضا، فصعد المنبر وخطب في الناس وطلب منهم . وهو مصداق الرئيس الإسلامي الذي يصفه ذاك السيد بالديكتاتورية!! . أن يقوم من له حق عليه ليقصص منه. فقام أحدهم وذكر أنه أصابه بضربة سوط في المكان الفلاني. فدعاه النبي (ص) أن يقصص منه لذلك فأخبره أن

كتفه كانت عارية عندما أصابته ضربة السوط. فكشف (ص) عن كتفه ليضربه بالسوط فقام الرجل وقبّلها، كما نقلوا تفصيلات أخرى.

فهل هو ديكتاتور ذاك الرئيس الذي يقول ليقم كل من له حق علي لأخذ حقه، حتى لو كان مبلغا يسيرا أو غير ذلك. فلم يقم أحد والذي ذكر قضية ضربة السوط أراد بهذا العمل غير الصحيح أن يقبل بدن الرسول (ص) مباشرة. فهل تجدون حاكما يفعل مثل هذا من بين قادة كافة حكومات العالم وتلك التي يسمونها حكومات ديمقراطية؟ لو وجدتم من يقوم بمثل هذا السلوك أمام أمته ورعيته، فقولوا حينئذ إن حكومة الإسلام استبدادية.

الرواية الثانية هي عن أمير المؤمنين الإمام علي (ع)، فعندما كان خليفة المسلمين، ذهب يهودي إلى القاضي الذي نصّب الإمام بنفسه، ورفع دعوى قضائية ضد الإمام بشأن درع كان بحوزة الإمام، فاستدعى القاضي الإمام فحضر وجلس إلى جانب اليهودي، وكان الإمام ينبّه القاضي إلى رعاية آداب القضاء وعدم التمييز بينه وبين المدعي اليهودي، فنهاه مثلاً حتى عن توقيره أكثر من توقيير خصمه. وبدأت المحاكمة، وحكم القاضي على أمير المؤمنين أن يعطي الدرع لليهودي!! فهل تجدون بين جميع حكومات العالم من يقوم بمثل هذا الأمر، بحيث يستجيب الحاكم لاستدعاء القاضي الذي نصّب نفسه ويجلس مع خصمه اليهودي في حضور القاضي الذي يحكم لصالح خصم أمير المؤمنين؟! أرونا واحدة من هذه الحكومات الديمقراطية تقوم بمثل هذا ثم قولوا بأن الحكومة الإسلامية استبدادية!!

أجل؛ لقد توهمتم أن الحكومة الإسلامية هي مثل هذه الحكومة القائمة في الحجاز لكنّ هذه الحكومة غريبة عن الإسلام وحكامها ديكتاتوريون يتسترون بالإسلام؛ أو مثل ذاك العسكري الذي ظهر في الباكستان وهو لا يعرف عن الإسلام شيئاً .

كلا، إن الحكومة الإسلامية هي تلك التي يتساوى فيها الحاكم مع أدنى أفراد رعيته في الحقوق، ويكون سلوك الحاكم على هذا النحو. ونحن عندما نعلن الحكومة الإسلامية فلا تخشوا شيئاً بدافع التوهم أن قيامها يعني التعرض لأرواح الناس وتدمير ثقافتهم وإرجاعهم إلى الوراء!! كلا فهذه أقوال جوفاء أطلقوها بهدف استغلال الناس، وإبعادهم عن الإسلام، وتشويه صورة علمائه حتى آل الحال في زمن رضا خان إلى درجة أصبح معها بعض أصحاب سيارات الأجرة يمتنعون عن السماح للسادة علماء الإسلام بركوب سياراتهم!! أجل، لقد أهانوهم إلى هذه الدرجة حتى قال ذاك السائق لأحدهم

عندما أراد أن يستقل سيارته: نحن لا نسمح لكم ولا لفئة أخرى بذلك!! هكذا كان الحال على عهد رضا خان.

لقد كانت دعاياتهم واسعة مكثفة حد القول لأبناء الشعب ولشبابنا بأن هؤلاء الملاي هم من عملاء البلاط! إذا كيف تحدى هؤلاء البلاط بكل صلابة؟ فهذه الجماهير التي رفعت قبضات التحدي إنما تابعت العلماء في هذا الموقف. والعلماء هم الذين فجروا هذه النهضة، فهل هم من عملاء البلاط؟ بالطبع يوجد بينهم ثلة معدودة من أصحاب الطاقات والعمائم البلاطية والشعب يعرفهم وهم ليسوا علماء بل معممون صنعهم البلاط ومنظمة الأمن الملكي وسمّوهم علماء، وما هم بعلماء.

لقد روجوا دعاياتهم بهدف عزلكم عن العلماء لأن قوة العلماء إذا فصلت عن قوة الشعب. عجزا كلاهما عن تحقيق شيء. فهذه خطة وضعوها وروجوا دعاياتهم تحت عناوين مختلفة بهدف عزل شبابنا وعزلكم عن الإسلام وعلمائه وعندما يستطيعون فعل كل ما يريدون.

وعلى أية حال، فقد تفجرت في إيران هذه الانتفاضة وهذه النهضة التي تزداد اتساعا كل يوم. فهناك ثورة متفجرة في الكثير من مدن إيران واعلموا أنه وحيث نحن جالسون هنا فإن إيران تشهد صرخات واشتباكات وحربا وثورة هي كالطوفان الذي يجرف الملك وسيجرفه مع المنتفعين من وجوده، فيجب إنهاء ممارساتهم الاستغلالية وستنتهي بمشيئة الله.

نحن نريد أن يكون بلدنا لنا ونديره بأنفسنا فهو إرث الآباء والأجداد، ولا نريد أن يرسل الرئيس الأميركي من يديره ويرسل له جهاز الحكم وقائمة أعضاء برلماننا فيدخله من يختارونه. وتدار جامعات البلد بأمره. نحن نريد أن ننتخب أعضاء المجلس النيابي بأنفسنا. أن يختارهم شعبنا. فلم يكن لنا نائب حقيقي في إيران طوال خمسين عاما، ولم يتحقق العمل بمقررات الحركة الدستورية منذ بداية ظهورها إلى الآن. فبلدنا كله استبداد، وحاله أسوأ من عصور الاستبداد. فمتى شهدت هذه العصور مثل هذا الإرهاب والقمع بحيث لا يستطيع عالم الدين ولا السياسي ولا الجامعي ولا أي شخص آخر التعبير عن آرائهم. فما من أحد يستطيع التفوه ولا بكلمة واحدة. هكذا كان الحال إلى ما قبل عامين. أما الآن فقد تقدموا بمقدار وأخذ أبناء الشعب يعبرون عن آرائهم بمقدار ما.

لقد أرادوا بث التفرقة بينكم. أرادوا تفريق الجميع وعزل كل شخص عن الإسلام والمسلمين تحت شعار ما وبنحو ما ليفعلوا بعد ذلك ما شاؤوا. ولهذا الهدف قاموا بمختلف الممارسات المنحرفة وروجوا بكثافة لمختلف الاتهامات ضد العلماء من قبيل اتهامهم بالتخلف والرجعية. فأية رجعية يقصدون؟ وأي مظهر من المظاهر الحضارية عارضه العلماء؟ إننا نؤيد كافة مظاهر التقدم الحضاري!

أما الذي نرفضه فهو الانحرافات القائمة. نحن نقول: إن البلد الذي تكون مراكز الفساد فيه أكثر من المكتبات لا يمكن أن يكون بلدا لنا. نحن نرفض أن يشهد بلدنا طواير من المساكين الذين يقفون في صفوف طويلة من أجل بيع دمائهم بثمن بخس لكي يوفروا مستلزمات العيش. نحن نقول: يجب إزالة هذه الظواهر ومراكز الفساد والفحشاء ومنع النهب. نحن نقول بلزوم إزالة ظاهرة أن يضطر البعض للعيش في الأكواخ المتداعية، فيما يمتلك آخرون قصوراً تبلغ قيمتها مئات الملايين من التومانات داخل البلد وخارجه.

هذا ما يقوله علماء الإسلام. يقولون يجب إقامة العدالة.. العدالة الإسلامية. يجب تعديل الاستفادة من رؤوس الأموال هذه. يجب العمل بأحكام الإسلام. فلو عدلنا التعامل مع رؤوس الأموال لزلت أشكال النهب هذه بالكامل. الحكومة الإسلامية نظام عادل وهو خير من النظام القائم فعلا فهو منزه عن السرقات والنهب والانحرافات والعمل بمنطق الغاب والإكراه. يجب منع هذه الظواهر ومنع الأجانب وعملائهم من نهب أموال الشعب وتمتعهم بها. يجب أن يعيش الناس في رفاهية. يجب الاهتمام بأمور الفقراء والمساكين من سكنة الأكواخ المعدمين. فلا تكون الثروات بأيدي الموسرين وحدهم. فجميع الحكومات تعمل من أجل مصالحهم في حين أن عمل الحكومة يجب أن يكون لصالح الجميع، بل يجب أن تعمل للضعفاء أكثر لكي توصلهم للأوضاع المناسبة، فلا تصغوا لدعايات أولئك الأجانب وعملائهم.

وثمة أمر آخر يجب أن أذكر به السادة، وهو ضرورة أن يقوموا بما هداهم الإسلام إليه من أعمال. ففي ذلك صلاحهم لأن الأحكام التي جاء بها الإسلام إنما تستهدف تربية أرواحهم وإيجاد حالة معينة لديكم تؤهلكم للحياة السليمة السعيدة في العالم الآخر. فكم هذه الأحكام هي من أجل تحقيق السعادة لكم.

ومثلما تجاهدون وتدرسون. عليكم أيضا أن تؤدوا الأعمال التي أوصى بها الله (تبارك وتعالى) ولا تستخفوا بها. أقيموا الصلاة حتما ولا تستخفوا بها. فهي والصوم وسائر الأحكام تبتغي تربيتكم وهدايتكم وإيصالكم إلى مدارج الكمال والسعادة. ولذا فإني أرجو منكم جميعا وأوصيكم جميعا بعدم التقصير بالأعمال الدينية الفرعية. لأنني أخبرت أن بعض الشبان يقصرون في هذا المجال. فلا تقصروا تجاهها فهي جميعها نافعة لكم ومن أجلكم. وإذا جعلتم ارتباطكم بالله تعالى قويا أيديكم ودفع عنكم كل شر وحقق لكم الاستقلال والحرية.

أسأل الله (تبارك وتعالى) السلامة لكم والعظمة للإسلام والمسلمين، ووفقكم الله وأيدكم جميعا.

هوية الخطاب رقم . 49

فرنسا/ باريس/ نوفل لوشاتو: 26 ذي القعدة 1398 هـ، الموافق 29 أكتوبر 1978م.

الموضوع: الحرية والاستقلال هما المطلبان الأساسيان والمشروعان للشعب الإيراني.

المناسبة: استمرار النهضة وحاجة الثورة للكوادر المؤمنة والزكية.

الحاضرون: جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في باريس .